جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

التصوير القرآني لهلاك الأمم والطغاة

(قوم نوح عليه السلام أنموذجاً)

دراسة تفسيرية موضوعية

إعداد

أ/ مها بنت مبارك بن دهيكل السلمي

باحثة دكتوراة، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية

د/ صباح سعيد العرفي

أستاذ مساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

التصوير القرآني لهلاك الأمم والطغاة (قوم نوح عليه السلام أنموذجاً) دراسة تفسيرية موضوعية

مها بنت مبارك بن دهيكل السلمي
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: m.m.s1425@hotmail.com

د/ صباح سعيد العرفي
أستاذ مساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

ملخص:

هدف البحث: إيضاح المقصود بالتصوير القرآني، وإبراز تصوير القرآن الكريم لمشهد هلاك قوم نوح عليه السلام من خلال التصوير البياني، والتصوير النفسي، والتصوير الحركي. وإبراز جوانب العظمة في التصوير القرآني تنظيرًا وتطبيقًا. منهج البحث: اعتمدت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على التتبُّع لأمور جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها، وعليه أقوم باستقراء الآيات التي صورت هلاك الأمم والطغاة، وكذا أقوال المفسرين فيها، ثم أتبعه بالمنهج التحليلي: وهو أسلوب لوصف المحتوى الظاهر أو المضمون الصريح للمادة المراد تحليلها؛ لتحليل ما تم استقراؤه من جزئيات المادة البحثية حول تصوير القرآن لهلاك الأمم والطغاة، من حيث الشكل والمضمون؛ تلبية للاحتياجات البحثية التي تطلبها هذه الدراسة، ثم الاستدلال والاستنباط، الذي يقوم على التأمُّل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها. هيكل البحث:فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تُقسَّم إلى: مقدِّمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس توضيحية، وهي كالآتي: المبحث الأول: التعريف بلفظة التصوير، وورودها في القرآن الكريم، ودلالاتها في السياق القرآني، وفيه مطلبان: المطلب الأول: تعريف التصوير لغة واصطلاحًا. المطلب الثاني: دلالة التصوير القرآني عند القدماء والمحدثين. المبحث

الثاني: التصوير القرآني لهلاك قوم نوح –عليه السلام، وفيه مطلبان : المطلب الأول: تصوير القرآن الكريم مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى اللغة والتراكيب . المطلب الثاني: تصوير القرآن الكريم مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى المعاني والصور . ثم الخاتمة . وفهرس المصادر والمراجع. **ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي :** استخدم القرآن الكريم الكلمات القوية في تصوير هلاك الأمم، وهي كلمات استمدت قوتها من قوة صفات حروفها ومخارجها. – وظف النظم القرآني الحروف والأدوات، وعدد كبير من الصيغ والتراكيب في خدمة مشاهد هلاك الأمم. – توجد علاقة وثيقة بين الجوانب البيانية والجوانب النفسية، فالبيان هو القالب الذي يرشدنا إلى الدلالات النفسية، والألفاظ خدم للمعاني. – التصوير النفسي من أهم الدلالات التي يمكن استنباطها من الكلام، ولا يمكن تجاوزها عند البحث عن دلالة الألفاظ؛ حيث تنعكس المعاني النفسية بصورة واضحة تجاه الألفاظ، فالأجواء النفسية تكشف عن جانب من المعنى يختبئ خلف الألفاظ.

الكلمات المفتاحية: التصوير القرآني، هلاك الأمم والطغاة، السياق القرآني، الاستنباط.

The Qur'anic Depiction of the Destruction of Nations and Tyrants: The People of Noah (Peace Be Upon Him) as a Case Study (An Interpretive and Thematic Study)

Maha Mubarak Al-Sulami, Sabah Said Al-Orfi
Department of Sharia and Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia
Email: m.m.s1425@hotmail.com

ABSTRACT:

This study aims to clarify the concept of Qur'anic depiction and examine how the Qur'an portrays the destruction of the people of Noah (peace be upon him). It focuses on three main aspects of Qur'anic depiction: rhetorical imagery, psychological representation, and dynamic movement. Additionally, the research seeks to highlight the magnificence of Qur'anic depiction, both theoretically and practically. The study adopts an **inductive methodology**, which involves analyzing specific cases to derive general conclusions. This is achieved by examining Qur'anic verses that depict the destruction of nations and tyrants, alongside the interpretations of classical and contemporary exegetes. Following this, the **analytical method** is employed to describe and interpret the explicit content of these verses, exploring both their form and substance in line with the research objectives. Additionally, the study incorporates **deductive reasoning**, whereby established textual elements are examined to infer broader meanings and implications. Given the nature of this study, it is structured into an **introduction, two main chapters, a conclusion, and an index of sources and references**. The first chapter provides a comprehensive definition of the term "depiction" and examines its occurrences in the Qur'an, along with its contextual meanings. It is divided into two sections: the first defines depiction linguistically and terminologically, while the second explores the significance of Qur'anic depiction as understood by classical and modern scholars. The second chapter focuses on the Qur'anic depiction of the destruction of the people of Noah (peace be upon him), analyzing the linguistic and structural representation of their destruction in the first section, and the thematic and visual representation in the second. The study concludes with a summary of findings, followed by an index of sources and references.

The findings of this research highlight the depth and power of Qur'anic depiction, particularly in its portrayal of the destruction of past nations. The Qur'an employs strong and impactful diction, selecting words whose intensity is derived from the phonetic characteristics and articulation of their letters, thereby enhancing the dramatic effect of the narrative. Furthermore, Qur'anic composition makes use of phonetic elements, linguistic tools, and a variety of syntactical structures to reinforce the imagery of destruction, creating a vivid and immersive experience for the reader. The study also underscores the intricate relationship between rhetorical and psychological aspects of Qur'anic depiction. Rhetorical expression serves as the framework that guides the reader toward psychological meanings, illustrating how words function as vehicles for deeper connotations. Psychological imagery is a crucial component of the Qur'anic narrative, as emotional undertones embedded in word choices reveal profound meanings that transcend their literal interpretations. These psychological dimensions play an essential role in shaping the overall impact of Qur'anic expressions. Through this study, it becomes evident that the Qur'anic depiction of destruction is not merely a historical account but a sophisticated rhetorical and psychological experience that resonates deeply with its audience. By integrating linguistic, psychological, and dynamic elements, the Qur'anic narrative achieves a powerful and multifaceted portrayal that enhances comprehension, strengthens emotional engagement, and reinforces the underlying message of divine justice and retribution.

Keywords*:* Qur'anic Depiction, Destruction of Nations and Tyrants, Qur'anic Context, Deductive Reasoning.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله- عز وجل- بعد أن قص علينا أحسن القصص في سورة يوسف، أعقب ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠].

فالتاريخ عبر، والأيام دول، واللبيب من يضع قدمه مكان قدم من نجا وفاز، فيفوز فوزه، ويحذو حذوه، ويتجنب السير خلف من هلك، فيزل كما زل، ويهلك كما هلك.

هذا ومن رحمة الله بخلقه أن صور لهم في القرآن الكريم كيف أهلك الأمم الظالمة، وكيف حل انتقامه بالطغاة، تصويرًا تحقق به التأثير العجيب الباهر على الأسماع والقلوب، هذا التصوير الذي تتحول معه الكلمات إلى صور نابضة بالحياة والحركة يتمثلها الخيال و تتحسسها الحواس؛ فيحدث الإيحاء، ومن ثَمّ التأثير العجيب.

وقد تحير العلماء في بيان سبب هذا التأثير وفي تحديد مصدره، أهو اللفظ؟ أم المعنى المسقر فيه؟ أم هي الصورة والإيحاءات التي تشعها؟ أم هذه العناصر كلها مجتمعة؟

كل ذلك كان دافعًا لي لاستجلاء معالم التصوير القرآني لهلاك الأمم والطغاة، من خلال دراسة تفسيرية موضوعية، تحت عنوان: التَّصويرُ القرآنيُّ لهلاكِ الأُمَمِ والطُّغاةِ

دراسة تفسيرية موضوعيّة، وهذا البحث جزء مستل من الرسالة .

۞ مشكلة البحث:

أن العقلاء بدلًا من أن يعتبروا بما حل بالأمم السابقة جرّاء تنكبهم صراط الله المستقيم، تمادى بعضهم في غيهم وطغيانهم، وعتوا عتوًا كبيرًا، فصاروا يجحدون آيات الله في تلك الأمم، وينكرون وقوع ذلك، وينفون حصوله تاريخيًا ومنطقيًا بدل أن يتعظوا بما حل بهم، وتحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤولات التالية:

- كيف صور القرآن الكريم مشاهد هلاك الأمم والطغاة ؟
- كيف جعل القرآن الكريم القارئ والمستمع يعايش الحدث ؟

۞ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف منها :

١- إيضاح المقصود بالتصوير القرآني والمراحل التي مر بها هذا المصطلح.

٢- إبراز تصوير القرآن الكريم لمشهد هلاك قوم نوح عليه السلام من خلال التصوير البياني، والتصوير النفسي، والتصوير الحركي .

٣- إبراز جوانب العظمة في التصوير القرآني تنظيرًا وتطبيقًا.

۞ أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية:

١- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث في الدراسات التفسيرية الموضوعية؛ خدمة لكتاب الله تعالى.

٢- أن هذا الموضوع يتناول وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز التصويري.

۞ منهج البحث:

- سأنتهج –بإذن الله تعالى– في هذا البحث المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على التتبُّع لأمور جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها، وعليه أقوم باستقراء الآيات التي صورت هلاك الأمم والطغاة، وكذا أقوال المفسرين فيها، ثم أتبعه بالمنهج التحليلي: وهو أسلوب لوصف المحتوى الظاهر أو المضمون الصريح للمادة المراد تحليلها؛ لتحليل ما تم استقراؤه من جزئيات المادة البحثية حول تصوير القرآن لهلاك الأمم والطغاة، من حيث الشكل والمضمون؛ تلبية للاحتياجات البحثية التي تطلبها هذه الدراسة، ثم الاستدلال والاستنباط، الذي يقوم على التأمُّل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها(١).

۞ هيكل البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تُقسَّم إلى: مقدِّمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس توضيحية، وهي كالآتي:

- المبحث الأول: التعريف بلفظة التصوير، ووروردها في القرآن الكريم، ودلالاتها في السياق القرآني، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تعريف التصوير لغة واصطلاحًا .
- المطلب الثاني: دلالة التصوير القرآني عند القدماء والمحدثين.
- المبحث الثاني: التصوير القرآني لهلاك قوم نوح –عليه السلام، وفيه مطلبان :
- المطلب الأول: تصوير القرآن الكريم مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى اللغة والتراكيب .
- المطلب الثاني: تصوير القرآن الكريم مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى المعاني والصور .
- الخاتمة .

(١) البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، ط: ٦، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٣٣هـ، ص١٨٧.

- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بلفظة (التصوير)، وورودها في القرآن الكريم، ودلالاتها في السياق القرآني

المطلب الأول: تعريف التصوير لغة واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة به

أولًا: التصوير لغة:

ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة، المعاني اللغوية التي تدور حولها مادة: (صَوَرَ)، قائلًا: " الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول، ومما ينقاس منه قولهم صَوِرَ يَصْوَرُ، إِذَا مَالَ، وَصُرْتُ الشَّيْءَ أَصُورُهُ، وَأَصَرْتُهُ، إِذَا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ، وَيَجِيءُ قِيَاسُهُ: تَصَوَّرَ، لِمَا ضُرِبَ، كَأَنَّهُ مَالَ وَسَقَطَ، فَهَذَا هُوَ الْمُنْقَاسُ، وسوى ذلك فكل كلمة منفردة بنفسها، مِنْ ذَلِكَ الصُّورَةُ صُورَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَالْجَمْعُ صُوَرٌ، وَهِيَ هَيْئَةُ خِلْقَتِهِ، وهي هيئة خلقته. والله تعالى البارئ المصور. ويقال: رَجُلٌ صَيِّرٌ إِذَا كَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الصَّوْرُ: جَمَاعَةُ النَّخْلِ، وَهُوَ الْحَائِشُ، وَلَا وَاحِدَ لِلصَّوْرِ مِنْ لَفْظِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الصِّوارُ، وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ، وَالْجَمْعِ صِيرَانٌ[1]، و"تصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل"[2].

وجاء في لسان العرب لابن منظور: " في أسماء الله تعالى: المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها...، الصورة في الشكل، وَالْجَمْعُ صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ، وَقَدْ صَوَّرَهُ فَتَصَوَّرَ .... والصِّوَرُ، بِكَسْرِ الصَّادِ، لُغَةٌ فِي الصُّوَرِ جَمْعُ صُورَةٍ، وَيُنشد هذا البيت على هذه اللغة يَصِفُ الْجَوَارِيَ:

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣/ ٣١٩-٣٢٠).

(٢) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٢/ ٧١٧).

أَشْبَهْنَ مِنْ بَقَرِ الخلْصاءِ أَعْيُنَها وهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ صِيرَانِها صِوَرا

وصَوَّرَهُ اللَّهُ صُورَةً حَسَنَةً فَتَصَوَّر ...، وتَصَوَّرْتُ الشيءَ: تَوَهَّمْتُ صورتَه فتصوَّر لِي، والتَّصاوِيرُ: التَّماثِيلُ"(١).

"ومنه الصورة؛ وهي التمثال وجمعها صور، وتصورت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن، وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة؛ فصورة الأمر كذا، أي: صفته وصورة المسألة كذا أي صفتها"(٢).

"والتصوير: إقامة الصورة وهي تمام البادئ التي يقع عليها حسن الناظر لظهورها، فصورة كل شيء: تمام بدره"(٣).

ويمكن جمع المعاني اللغوية التي تأتي لها مادة (صور) كالآتي(٤):

- الصُورَة المجسمة، كالشكل والتمثال المجسم.
- الرسم على الْوَرق أَو الْحَائِط وَنَحْوهمَا، بالقلم أَو الفرجون أَو بِآلَة التَّصْوِير.
- الوصف والكشف عَن الجزئيات، والخطوط والحدود والملامح التي تميز الهيئة.
- صفحة الْعُنُق.
- الميل والاشتياق.
- ماهية الشيئ الْمُجَرَّدَة وخياله فِي الذِّهْن أَو الْعقل.
- الصور من النهر: شطه، والجمع: صوران، ومن النخل: أصله الصغار أو المجتمع.
- الصور: القرن ينفخ فيه، والجمع: أصوار.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٤/ ٤٧٣).

(٢) الحموي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (٣٥٠/١).

(٣) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص٩٨).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٥٢٨، معجم متن اللغة، (٣١٣/٣)، المعجم الاشتقاقي المؤصل، (٣/ ١٢١٤).

- المصور: من حرفته التَّصْوِير، وذلك بانبعاث أشعة ضوئية من الْأَشْيَاء تسْقط على عدسة فِي جزئها الأمامي، وَمن ثمَّ إِلَى شريط أَو زجاج حساس فِي جزئها الخلفي، فتطبع عَلَيْهِ الصُّورَة بتأثير الضَّوْء فِيهِ تأثيريًا كيمياويًّا.

ثانيًا: التصوير اصطلاحًا:

لم تبتعد دلالة التصوير في الاستعمال الاصطلاحي كثيرًا عن المعنى اللغوي، فجاء مقرونًا بمصطلح (التمثيل)، فعرّف بأنه: "تصوير الشيء كأنَّك تنظر إليه"(١)، و"التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها؛ لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها"(٢)، فالصورة: "تمثيل وقياسٌ لما نَعْلَمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"(٣)، والتصور: "هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات"(٤).

والصورة هي : "عبارة عن العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، والحصيلة الناجمة عن اقترانهما، فليست هي اللفظ بمفرده شكلًا فارغًا رنانًا، ولا المعنى بذاته مضمونًا ذهنيًا مجردًا، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما "(٥).

وقد زادت أهمية التصوير في تأليف الكلام حتى صار مقياسًا لتفضيل الكلام بعضه على بعض، لأن: "سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنَّ سبيل المعنى الذي يُعبَّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصَّوْغُ فيه، كالفضة والذهب يُصاغ منهما خاتم أو سوار"(٦).

---

(١) الفراهيدي، كتاب العين، (٢٢٩/٨).
(٢) تفسير الزمخشري، (٣/ ٤٧٨).
(٣) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، (٥٠٨/١).
(٤) الجرجاني، التعريفات، (ص٥٩).
(٥) محمد الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، (ص٣٧).
(٦) الجرجاني، دلائل الإعجاز، (٢٥٥/١).

وللتصوير عدة معانٍ متقاربة من وجوه، نذكر منها:

– "التصوير: هو نقش صور الأشخاص أو الأشياء على حائط أو لوح أو نحوهما بالقلم أو بأي آلة تصوير، والتصوير الشمسي أخذ صورة الأشياء بالتصوير الشمسي"(١).

– "التصوير والتخييل: هو فن يُراد به إثبات الغرض المقصود في نفس السامع حتى يكاد ينظر إليه عيانا"(٢)، والغرض من التصوير هو التأثير في النفس، بحيث يسيطر على العقل والعاطفة والمشاعر، وهذا التأثير للصورة لا يقوى إلا إذا اتفق مع الحالة التي يعبر عنها(٣).

– "والتَّصَوُّر فِي علم النَّفس: استحضار صُورَة شَيْء محسوس فِي الْعقل دون التَّصَرُّف فِيهِ، والتصور عِنْد المناطقة: إِدْرَاك الْمُفْرد، أَي معنى الْمَاهِيّة من غير أَن يحكم عَلَيْهَا بِنَفْي أَو إِثْبَات، والتَّصْوِير الشمسي: أَخذ صُورَة الْأَشْيَاء بالمصورة الشمسية"(٤).

التصوير: "استحضار صورة شيء ليكون قريبًا أو معروضًا عرضًا فنيًّا بديعًا يوحي بالمعنى ويؤثر في النفوس"(٥).

---

(١) المعجم الوسيط، (٥٢٨/١).

(٢) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٧٨/١).

(٣) ينظر: في النقد الأدبي، علي عليّ مصطفى صبح، (ص١٣٥).

(٤) المعجم الوسيط، (١/ ٥٢٨).

(٥) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم،، (٣٤٨/١).

المطلب الثاني: دلالة التصوير القرآني عند القدماء والمحدثين

أولا: دلالة التصوير القرآني عند القدماء:

لقد مضى الدارسون الأوائل يزرعون بذور فكرة التصوير في القرآن الكريم، وذلك من خلال اشتغالهم بقضايا المجاز والتأويل والإعجاز البلاغي، الذي فتح مغاليق الكشف البياني أمامهم، بيد أن جهودهم لم تكن تتجاوز النظرة البيانية التي تختزل الصورة في جزئية نمطية معيّنة كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، دونما اهتمام بالسياق الفني الكلّي الذي ينتظم الخطاب(١)، فالصورة تحتل مكانة مهمة في الدراسات القديمة، من حيث مجال البحث والاهتمام بتحديد ماهيتها ووظيفتها، ومن هذه المكانة لها لابد من إعطاء موجز مبسط نتعرف من خلاله على المحاولات الأولى لدراسة الصورة .

الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) :

يعتبر الجاحظ أول من وقف عند الصورة في العمل الأدبي(٢)، فقد قال وهو في معرض الكلام عن الشعر وما يتألف منه: "فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير"(٣).

فقوله أن الشعر صناعة، من غير تقييد لهذه الصناعة، يبين أن الجاحظ يرى الشعر لقاح الوعي وثمرة الدراية، يجري على وفق قوانين تتحكم في إخراج عناصره، كما تتحكم القوانين في أي لون من ألوان الصناعة خبرة ودربة، وأما النسج فيأخذ مفهومه من شكل النسيج الذي مادته الخيوط والأصباغ، ومهارته التركيب والتنسيق، وثمرته الصور بعد ذلك(٤).

---

(١) ينظر: نور الدين دحماني، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، (ص١٠٢).
(٢) محمد شادي، الصورة بين القدماء والمحدثين، ص٥٦
(٣) الجاحظ، الحيوان، (٦٧/٣).
(٤) ينظر: كامل حسن البصير ،بناء الصورة الفنية في البيان العربي، (ص٢٧-٢٨).

فالتصوير ووجوب وجود الصورة في النص الشعري من أهم الأسس التي تكسب ذلك النص شعريته عند الجاحظ [١].

قدامة بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ) :

استعمل قدامة لفظة الصورة في حديثه عن الشعر، في كتابه (نقد الشعر) فقال: "إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيه كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور فيها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة"[٢].

فإذا كان الجاحظ أراد بالتصوير العملية الذهنية التي تصنع الشعر؛ فإن قدامة بن جعفر قد عدّ الصورة الهيكل والشكل في مقابل المادة والمضمون[٣].

الرماني (ت: ٣٨٤هـ) :

رأى الرماني أن قدرًا مهمًا من قدرة الاستعارات والتشبيهات القرآنية على التأثير، يُعزى إلى قضية التقديم الحسي للمعنى الأصلي المجرّد، ذاهبًا إلى أن النقلة في الاستعارة القرآنية يتمّ من (المعنوي العقلي) إلى (الحسي العيني)، الذي يُعرَض المعنوي من خلاله[٤].

فالتصوير عند الرماني هو تجسيد المعنويات في صورة المحسوسات التي ترى بالأبصار، وتقوم الصورة البلاغية عنده بقل المعنى المجرد إلى الحس العيني .[٥]

---

(١) الجاحظ، الحيوان، (٣/ ٦٧).

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، (ص٤).

(٣) ينظر: الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، (ص٢٥).

(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، (ص٨٠)، جابر عصفور، الصورة الفنية، (ص٢٦١).

(٥) عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، (ص٢٢) .

أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) :

ويمضي العسكري محتضنًا فكرة الرماني سائرًا على منهجه؛ غير أنه يلحّ أكثر منه على مبدأ (التقديم البصري) للمعنى، ويرى أن كثيرا من بلاغة الاستعارات ترجع إلى إخراجها "مالا يُرى إلى ما يرى" أو التعبير عما لا يُشاهد بما هو مشاهد"(١) .

فظلّ يتعامل مع مفهوم الصورة بإطارها الشكلي والجزئي، فقصرها على الاستعارة والتشبيه فقط كالرماني، ولم يربطها بالمعنى والسياق، مع أن فكرة التصوير أعم وأشمل من التشبيه والاستعارة .(٢)

ومما يُؤخذ على اجتهادات **الرماني والعسكري** أنهما يتعاملان مع فكرة التصوير وفق نظرة جزئية ضيّقة، وذلك من خلال قصرها على أنماط الاستعارة والتشبيه فقط، وذلك أن الفكرة يمكن أن تكون أشمل وأعم من ذلك المدى(٣).

عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

حاول عبد القاهر الجرجاني بعبقريته الفذّة، أن يصحّح المفاهيم النقدية الخاطئة من قبله، والتي قامت على الفصل بين اللفظ والمعنى. فنظرت على ضوء هذه الثنائية بين اللفظ والمعنى، إلى حصر الصورة في الشكل دون المضمون. فقام الجرجاني بربط الصورة بالصياغة أو النظم، والصياغة عنده متحدة بالمعنى ولا تنفصل عنه، فأي تغيير في الصياغة يتبعه تغيير في الصورة، لأن الصورة تفهم من خلال «النظم»(٤) يقول الجرجاني: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يُصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذا أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل

(١) العسكري، الصناعتين، (ص٢٧١). جابر عصفور ،الصورة الفنية ،(ص ٢٦٤) .
(٢) عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية، ص٢٤
(٣) ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية، (ص٢٦٥).
(٤) عبدالسلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص٢٤

ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه "[١].

فاتضح مفهوم الصورة عنده أكثر، وعرفها قائلًا: «واعلم أن قولنا صورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا»[٢]، وأشار إلى أن مصطلح الصورة قديم، فيقول: "وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير "[٣].

الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) :

ويمكن القول بأن فكرة التصوير القرآني قد اختمرت بذهن الزمخشري وتهيّأ له بفضل تمثله الجيّد لمنطلقات الدرس البلاغي السابقة تاريخيًّا، ومن هنا كرّس جهده التطبيقي لتوضيح تلك النظرية، ولا أدل على ذلك من أنه راح يقرن التخييل بمفهوم التصوير في القرآن الكريم ويجعلهما في حكم المترادفين تقريبًا[٤].

وأهم ما تميز به الزمخشري أنه نظر إلى التصوير القرآني باعتباره أسلوبًا شاملًا، وقد مكنه من ذلك أنه أفاد من تطبيقات فكرة التصوير على الشعر، وربطها بالتخييل الشعري، ولعلّ ذلك ما يبرّر استخدام الزمخشري لمصطلحات التخييل والتصوير والتمثيل وتطبيقها على الصور القرآنية[٥].

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني،ص ٢٥٤ – ٢٥٥.
(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٠٨.
(٣) الجرجاني،دلائل الإعجاز، (ص٤٦٦).
(٤) ينظر: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، (ص١٠٨).
(٥) ينظر: جابر عصفور، الصورة الفنية، (ص٢٦٥).

ثانيًا: دلالة التصوير القرآني عند المحدثين:

لقد عُني المحدثون بالحديث عن التصوير القرآني، وعلاقته بالإعجاز القرآني، وعلى رأس هؤلاء :

الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) :

حضت قضية الإعجاز عند الرافعي اهتمامًا كبيرًا، فخصه بدراسة وافية في كتابه : (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، فقد أشار إلى الجانب الأسلوبي والبلاغي من الإعجاز القرآني، حيث عَزَا "وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى، بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدّة الملاءمة، حتى يكون أصغر شيء فيه كأكبر شيء"(١).

بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن (ت : ١٤١٩هـ) :

استخلصت بنت الشاطئ فكرة الإعجاز البياني التي شكلت محورًا جوهريًّا لاهتمامها من خلال جملة من الدراسات القرآنية(٢)، التي جعلت منها مادّة لكتاب أفردته للموضوع، ولئن غاب بعد التصوير الفني بوصفه نظرية متكاملة من توصيفها، إلا أنها التفتت إلى المظاهر اللغوية والأسلوبية في الأداء القرآني من خلال وقوفها عند فواتح السور وأسرار الحروف القرآنية، ودلالات الألفاظ وأسرارها وطرائق التعبير(٣).

ولا يزال تعاطي الدارسين والعلماء مع موضوع التصوير في الخطاب القرآني متواصلًا خلال عصرنا الحاضر ضمن مجال الدراسات الفنية واللغوية للقرآن الكريم، ومن ذلك ما صنعه **د/ فاضل صالح السامرائي،** الذي وجه الموضوع توجيهًا لغويًا وسياقيًا، من خلال رصيد منجزاته العلمية القيمة التي نذكر منها: (لمسات بيانية)،

---

(١) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ص١٠٩).

(٢) أشارت الكاتبة إلى بعض تلك الدراسات في كتابها الإعجار البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية .

(٣) ينظر: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي، (ص١١٤).

(التعبير القرآني)، (بلاغة الكلمة)، ومن هؤلاء **محمد الصغير علي،** في كتابه: (الصورة الفنية في المثل القرآني)، **وجابر عصفور** في كتابه : (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، **وغيرهم كثير.**

وهؤلاء العلماء –باختلاف مناهجهم، ومنطلقاتهم المعرفية قد أدركوا أن الخطاب القرآني لا يزال يفصح عن مكنونات ودرر ولآلئ تصويرية بديعة، لا يستخرجها إلا من يحسن النظر في التراكيب والأساليب ليستخرج المعاني والصور ؛ مما يزيد من إقبال الدارسين والباحثين في استكشاف هذه الجواهر والدرر، وصياغتها بحس تذوقي ورؤية جمالية.

المبحث الثاني: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام.

المطلب الأول: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى اللغة والتراكيب.

المسألة الأولى: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على المستوى الصوتيّ.

قد بدأت بدراسة المستوى الصوتيّ؛ لأن الدراسة الصوتية هي عماد أي لغة من اللغات، وبدونها لا يمكن لها أن ترقى؛ لأن أبنيتها وتراكيبها تقوم على أساس التشكيلات الصوتيّة، وتبادلية المواقع، وإمكانية القدرة على إنتاج أنماط دلالية تُكوِّن المنظور الفكري، وتغني مساراته؛ وعليه فإن المستوى الصوتي هو أعم المستويات اللغوية، ومن المنطقيّ أن يكون الترتيب من الأعم إلى الأخص.

وقد استعمل القرآن الكريم الأصوات القوية المعبرة في تصويره لهلاك قوم نوح عليه السلام، ومن ذلك:

كلمة: ﴿قُدِرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]، حيث تتكون من: حرف (القاف)، الذي يحمل صفة الجهر والشدة والاستعلاء والانفتاح والإصمات والقلقلة(١)، فهو حرف يحمل كل صفات القوة؛ وعليه فهو حرف قويّ، وحرف (الدال) الذي يحمل صفات القوة، والجهر، والشدة، والقلقلة(٢)، وحرف (الراء) الذي يحمل صفات قويّة خاصة به؛ كالجهر، والتوسط، والانحراف، والتكرار، إضافة إلى تفخيمها وقفًا ووصلًا؛ مما يزيد في قوتها(٣)، وبالتالي فإن هذه الكلمة قويّة بقوة صفات حروفها؛ مما يوحي بعظيم قدرة الله تعالى، وقضائه المحكم.

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٨: ٢٠٤).
(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٨: ٢٠٤).
(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٨: ٢٠٤).

كلمة: ﴿دُسُرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر: ١٣]، وهي تتكون من: حرف (الدال) وهو من الحروف القويّة، وحرف (السين) وهو حرف ضعيف لكثرة صفاته الضعيفة؛ كالهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح(١)، ولكن صفة الصفير فيه تعطيه قوة وحدّة في الصوت؛ مما يجعلها قويّة الصوت، وحرف (الراء) الذي يحمل صفات قوية خاصة به، بالإضافة إلى أن توالي حركات الضم التي تزيد اللفظة قوة ومتانة.

تعقيب:

هذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموقع من السورة، والدُّسُرُ جمع دِسار، مثل (كُتب) جمع: (كِتاب)، والدِّسار: هو المسمار، وعمليّة الدَّسْر: هي إصلاح السفينة بالدّسار(٢).

وفي ذكر الوصف ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ وعدم ذكر السفينة، إشارة إلى إحكام صنعها ومتانتها؛ فالعناية بوصفها هنا أشدّ بيانًا؛ لامتنان الله تعالى وتفضّله على عبده نوح عليه السلام، كما أن قوتها تتناسب مع قوة الشد والربط بين ألواح السفينة المحكمة الصنع، والتي لا تسمح للماء أن يتسلل إليها من خلال ألواحها، ومن ناحية أخرى فإنّ ذكر الصفة وعدم ذكر الموصوف يُشارك في قصر العبارة، والإتيان بها متوافقة ومتناسقة مع قِصَر الجمل، ومنسجمة مع جميع فواصل السورة(٣).

ومن الألفاظ القوية المعبرة في مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام كلمة: ﴿تَجْرِي﴾ في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٤] حيث إنها تتكون من حروف: (التاء والجيم والراء والياء)، ولكل من هذه الأحرف وظيفته الصوتية المعبرة عن

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (١/ ١٩٨: ٢٠٤).
(٢) لسان العرب، مادة دسر، (٤/ ٢٨٤).
(٣) ينظر: سورة القمر دراسة أسلوبية، محمد حسن، (ص٣٥).

المعنى المراد، فالتاء حرف شديد، مهموس يجري معه النفس، أما الجيم فحرف شديد مجهور مقلقل، وهذا مما أسهم في إعطاء هذا الكلمة القوة التي تدل على سرعة الحركة للسفينة(١).

- أما كلمة: ﴿كُفِرَ﴾ فإذا نظرنا إلي مخارج حروفها فسنجدها ضعيفة كلها، ولكن بالنظر إلى توالي الضمة الثقيلة مع الكسرة، التي هي أثقل الحركات في النطق بجانب حرف الراء القوي المكرر المنحرف، تصير الكلمة قوية، إضافة إلى ما في هذا اللفظ من غرابة سببها ورود هذا الفعل على صيغة المبني للمجهول(٢).

أما كلمة: ﴿مُدَّكِر﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾ [القمر: ١٥] فأصلها: مُذتَكِر على زنة: (مُفْتَعِل)، من الذُكر بضم الذال، وهو التفكر في الدليل.

ولما تقارب مخرج الذال مع مخرج التاء؛ حيث إن كلًا منهما من نفس المنطقة المتحركة في طرف اللسان –لكن الذال غير متجانسة مع التاء لتدغم–؛ لذا تحولت الذال إلى صوت مجانس للتاء ليصح الإدغام وهو الدال(٣)، وعليه فقد اجتمعت عندنا صيغة قويّة تتمثل في الجرس الصوتي القوي المتكون من حرف (الدال) الشديد، المجهور، المقلقل، يليه في القوة حرف (الراء) المكرر المنحرف المزلزل، لتعطينا هزّة قوية للتفكر في أحوال المكذبين، والنظر بعمق في الأسباب التي أدت إلى هلاكهم؛ كي نتجنب ذلك المصير(٤).

(١) ينظر: ألفاظ القوة والتمكين، د. منصور العمراني، (ص٢٣٤).
(٢) ألفاظ القوة والتمكين، (ص٢٣٤).
(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٨٠).
(٤) ينظر: ألفاظ القوة والتمكين في سورة القمر، (ص٢٣٤).

كلمة: ﴿**نُذر**﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾ [القمر: ١٦] وهي جمع (نذير): وأصلها (نُذُرِي) حذفت منها الياء[١]

وهذه الكلمة حروفها ما بين متوسطة وضعيفة، على مستوى الحروف، أما على مستوى الحركات فإن توالي الضمات يُحدث نوعًا من الضمة والثقل، إضافة إلى الراء التي تدور بين التفخيم والترقيم، وإن كان المقدم فيها الترقيق، وهذا سبب الثقل؛ لأن ترقيق الراء الساكنة في الوقف بعد ضمّة ثقيل، وكل هذه الأسباب مجتمعة جعلت لهذه الكلمة قوّة لفظية من حيث جرسها، وثقلها على اللسان، وهذا الصوت لم يكن ليعطي دلالته، لولم تأتي اللفظة بهذا الشكل من التركيب، وكأنَّ هذا الثّقل يشير إلى قوة تلك النُّذُر وكثرتها وثقل ما تحمله من وعيد وتهديد، وقوتها تعطي دلالة واضحة في قوة التوبيخ الموجه لأولئك المكذبين للنذر، حين رأوا رأي العين حقيقة مآلهم؛ ولهذا جاءت هذه اللفظة في التعقيب على كل قصة ذكر من خلالها هلاك المجرمين المكذبين بدعوة الرسل[٢].

فهذه الكلمة تحمل التهويل لما حل بقوم نوحعليه السلام من العذاب، إعظامًا له؛ إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم، فلم ينسَل منهم أحدٌ، أي: كيف كان عاقبة إنذاري؟ والنُّذُر: جمع نذير، وهو الإنذار[٣].

كلمة: ﴿**مُنْهَمِر**﴾ جاءت على صيغة اسم الفاعل من الفعل (انهمر)، و"الهَمْرُ: صبُّ الدّمع والماء، يُقالُ همره فانهمر"[٤]، ومعناه: "منصبّ، وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدّة انصبابها"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٨٠).
(٢) ينظر: ألفاظ القوة والتمكين، (ص٢٣٥)
(٣) البحر المحيط (٨/ ١٧٦).
(٤) المفردات، للأصفهاني (ص٨٤٥).
(٥) تفسير أبو السعود (١٦٩/٨).

وهذه الكلمة ليست قوية صوتيًّا؛ لأن كل حروفها ضعيفة، بالإضافة إلى عُمْقَ مخرج الهاء الذي يخرج من أقصى الحلق، وما يتبعها من خروج كثيف لهواء الزفير، إذ إن الهاء أكثر الحروف التي يخرج معها هواء الزفير، وفي هذا إشارة إلى كثرة الانهمار، ثم تنتهي الكلمة بحرف الراء المكرر المنحرف القوي المتردد في ظهر طرف اللسان، والذي يُعطي دلالة السُّرعة في حركة الماء الغزير المتوالي دفعةً بعد دفعة، وهنا تظهر قوّةُ اللّفظة المتناسبة مع إهلاك المكذبين بقوّة وشدّة(١).

المسألة الثانية: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الأدوات.

علاقة هذه النقطة بالتي تسبقها، أن الدراسة الصوتية أعم من دراسة الأدوات، فكل أداة تتكون من أصوات، أما الأداة فهي كلمة تكون رابطة بين جزئي الجملة أو بينهما وبين الفضلة أو بين جملتين، والأدوات دائمًا ما تكون مبنية، والأدوات منها ما هو اسم ومنها ما هو حرف.

والأدوات المستعملة في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام هي:

أ- استعمال الحروف(٢):

واستعمال القرآن الكريم للحروف كأحد الأدوات اللغوية في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام كان دقيقًا، ومن أمثلة ذلك:

- **استعمال حرف الفاء:**

استعمل القرآن الكريم الفاء مع قصة هلاك قوم نوح عليه السلام بأكثر من معنى، ومنها:

(١) ينظر: سورة القمر دراسة أسلوبية، (ص٤٤) .

(٢) الحرف: ما يدل على معنى غير مستقل بالفهم، بل يظهر من وضع الحرف مع غيره مثل: (من - هل - أو).

الفاء الفصيحة[١]:

فالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾ [الأعراف: ٦٤] هي الفصيحةُ؛ لأنَّها وقعت جواب شرط محذوف، وأفاد استعمالها تنبيه القارئ أنك إذا أردتَ أن تعلم مغبَّةَ أمرهم؛ فقد كذَّبوه[٢].

الفاء التي تدل على التعقيب[٣]:

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، فيجوز في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾ أن تدل الفاء على التّعقيب، ويكون استعمالها أفاد تنبيه القارئ أنَّ تكذيب قومه له وقع بعد دعوته بلا مهلة، ويكون التَّكذيب وقع "عقب سماع قول نوح عليه السلام، فعطف على كلامه بالفاء"[٤]، وهذا يدلّ على أنّهم لم يتروّوا، ويفقهوا ما دعاهم إليه، بل بادروا إلى تكذيبه ورفض دعوته تشبثًا بآلهتهم الزائفة.

---

(١) وهي الفاء التي تُفصِحُ عن محذوف في الكلام قبلها، يكون سببًا للمذكور بعدها؛ كالفاء التي نراها مذكورة بعد الأوامر والنواهي؛ بيانًا لسبب الطلب، "وتُسمَّى الفاء العاطفة على مقدَّرٍ فصيحةً"، ينظر: التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهري (٢/ ١٨٦)، و "شرط الفاء الفصيحة أن يكون المحذوفُ سببًا للمذكور"، ينظر: الكليات (ص: ١٠٤٩)، وسميت فصيحةً؛ لأنها أفصحت عن المُقدَّر قبلها، وأظهرت أن في الكلام شيئًا محذوفًا، فمبناها على الحذف اللازم، وكمال حسنها وفصاحتها في كونها مبنيّةً على التقدير، مُنْبِئة عن المحذوف. ينظر: عناية القاضي وكفاية الراضي: حاشية لشهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي (٣/ ٢٢٨)، والكليات (ص: ٦٧٦).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش (٣/ ٣٧٥).

(٣) التعقيب معناه: أن يكون المعطوف واقعًا عقب المعطوف عليه مباشرةً، بلا تراخٍ، ولا مهلة؛ أي: دون مدة طويلة مِن الزمن تفصل بين وقوعهما. ينظر: قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام، (ص ٣١).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٨/ ١٩٧).

وفي قوله: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾ أفاد هذا العطف أنَّ النَّجاة وقعت بعد التَّكذيب، فهي تفيدُ التَّعقيب، وهو تعقيبٌ عرفيٌّ؛ لأنَّ التَّكذيب حصل بعده الوحي إلى نوحﷺ بأنه لن يؤمن من قومهِ إلَّا من قد آمَنَ، ولا يُرجى زيادة مؤمن آخر، وأمره بأن يدخلَ الفُلك(١).

الفاء التي تدل على الظرفية(٢):

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾ [هود: ٤٢]، فظاهر النظم يدل على أن السفينة تجري داخل الموج، ولكن المراد أن الأمواج لما أحاطت بالسفينة من الجوانب كلها شبهت بالتي تجري في داخل الأمواج؛ لأن الماء لما كانَ مُهَيِّئًا لِلْإِغْراقِ، كانَ السَّيْرُ عَلى ظَهْرِهِ مِنَ الخَوارِقِ، وأشارَ إلى ذَلِكَ بِالظَّرْفِ فَقالَ: ﴿ فِي مَوْجٍ ﴾(٣).

فاستعمال حرف (الوعاء) لتشبيه ما هو محاط بالأمواج، بما هو فيها؛ لشدة اقتراب الأمواج من ظهرها وجوانبها العليا، كأن حرف الظرفية ينطق بالإغراق، والنظم ينطق بالنجاة، ونكتته بيان أن لا نجاة في ذلك اليوم إلا بقدرة الله(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: (٨/ ١٩٧).

(٢) ويقصد بالظرفية: محل وقوع الشيء، أو زمانه، إما حقيقة، أو مجازًا. ينظر: نهاية الوصول للأرموي (٢/٤٣٧)، تشنيف المسامع، للزركشي (١/ ٥٣٤)، التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج (٢/ ٧).

(٣) نظم الدرر، للبقاعي (٢٨٧/٩).

(٤) موسوعة التفسير البلاغي (٢٨/٢٢).

الفاء التي تدل على التفريع[١]:

ومن أمثلتها جملة: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١] إلى آخرها، وبيان ذلك أنها مفرعة على جملة: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠]، وأفاد هذا الاستعمال أن الله استجاب دعوته بأن أرسل هذه المياه عقابًا لقوم نوح عليه السلام، وحاصل المعنى: فأرسلنا عليهم الطوفان بهذه الكيفية المحكمة السريعة[٢].

ومن **صور** ذلك تفريع: ﴿ فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢٥]، وأفاد هذا الاستعمال التعريض بالمشركين من العرب الذين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم وتدفع عنهم الكوارث، يعني في الدنيا لأنهم لا يؤمنون بالبعث، أي كما لم تنصر الأصنام عبدتها من قوم نوح عليه السلام كذلك لا تنصركم أصنامكم[٣].

ب- استعمال أدوات التوكيد:

من الطبيعي أن يستعمل القرآن عددًا من المؤكدات في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، حيث استعمل اسم (أن) ضمير الشأن الدال على أن الجملة بعده أمرهم خطير؛ لأنها **تأييس له من إيمان بقية قومه**، ودل حرف (لن) المفيد **تأبيد النفي** في المستقبل، وذلك شديد عليه، ولذلك عقب بتسليته بجملة فلا تبتئس بما كانوا يفعلون، فالفاء لتفريع التسلية على الخبر المحزن[٤].

---

(١) التفريع: "أنْ يَقصِدَ المُتكلِّمُ وصْفًا ما، ثمَّ يُفرِّعَ منه وصْفًا آخَرَ يَتعلَّقُ بالمَوْصوفِ، يَزيدُه تَأكيدًا"، أو: "أنْ يُثْبَتَ لمُتعلِّقِ أمرٍ حكْمٌ بعدَ إثْباتِه لمُتعلِّقٍ له آخَرَ". ينظر: الحاوي في تفسير القرآن، (ص ٢٢٠٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٨٢- ١٨٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٢).

(٤) التحرير والتنوير (٦٥/١٢).

واستعملت من أدوات التأكيد: (قد) التي دخلت على الفعل؛ وأفاد هذا الاستعمال **التنصيص على أن المراد من حصل منهم الإيمان يقينًا** دون الذين ترددوا(١).

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾ [هود: ٣٧]، وبيان ذلك أنه: لم يقل سبحانه تعالى: سأغرقهم أو إنهم سيغرقون، ولكنه أخرجه مخرج الأمر الثابت أي: كأن الأمر استقر وانتهى؛ لأن الأمر لم يحدث بعد، ومع ذلك يؤتى بالصيغة الاسمية للدلالة على أن الأمر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت(٢).

فقد استعمل التوكيد في تصوير هذه المرحلة في التيئيس من إيمان قومه وتأبيد ذلك، وأنه لن يؤمن إلا من مع نوح عليه السلام، وهذا تمهيد لهلاكهم، والتأكيد على أن هلاكهم أمر ثابت.

تعقيب:

مراعاة أحوال المخاطبين الذين نتحدث إليهم باستخدام أسلوب التوكيد، هو الذي يبرز لنا تلك المعاني النفسيّة، فالخبر له أغراض يأتي من أجلها، وعلم المعاني من شأنه أن يدلنا كيف يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، وهو ما تتحدث عنه مراعاة المقامات، فمقام المنكر يختلف عن مقام الشاك المتردد، وهذا يختلف عن خالي الذهن الذي لا شك ولا تردد عنده، فالمتكلم ينبغي أن يراعي هذه الأحوال.

فما كان موجهًا إلى خالي الذهن لا إنكار لديه، ولا شك في نفسه أو تردد، نلقي الخبر إليه في العادة خاليًا من التأكيد، وما كان موجهًا إلى من كان في نفسه شك أو تردد، يحسن تأكيد الخبر له، لإزالة ما في نفسه من الشك(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٦٥/١٢).

(٢) التعبير القرآني، فاضل السامرائي، (ص٢٢).

(٣) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٢٩٤).

وما كان موجها إلى منكر كان التأكيد واجبًا له في الكلام، وهذا المنكر درجات، فمنهم من يكتفي بأداة التأكيد، ومن من يؤكد له الكلام بمؤكدين أو بثلاثة فأكثر، ومنهم من يحتاج إلى قَسم، حسب حال الملقى عليه الخبر؛ من الشك أو التردد أو الإنكار(١).

ت- استعمال أدوات الظرفية:

ومن ذلك استعمال كلمة (كلما)، في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]:

وهي أداة مركبة من (كل) و (ما) الظرفية المصدرية، وانتصبت (كل) على الظرفية؛ لأنها اكتسبت الظرفية بالإضافة إلى الظرف، وهو متعلق بالفعل (سخروا)، وهو جوابه من جهة أخرى، وأفاد استخدامها المعنى، حيث أصبح المعنى بعد دخولها في الجملة: وسخر منه ملأ من قومه في كل زمن مرورهم عليه(٢).

ثم إن (لما) في (كلما) من العموم مع الظرفية أشربت معنى الشرط مثل: (إذا) فاحتاجت إلى جواب وهو سخروا منه(٣)، فجعلت المستمع ينتظر جواب الشرط المتقدم.

المسألة الثالثة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الصيغ.

وعلاقة هذه النقطة بالتي قبلها التنوع، فالنقطة السابقة كانت تتحدث عن الأداة التي وضعت لتدل على معنى في غيرها، وهنا أتناول مجموعة من القوالب وضعت عليها الكلمات؛ لتدل على معانٍ، مثل: صيغة اسم الجنس، وصيغة التعريف والتنكير، وصيغ المشتقات، وصيغ المبني للمجهول، وصيغ الأسماء والأفعال، وغير ذلك من الصيغ.

وقد استعمل القرآن الكريم عددًا كبيرًا من الصيغ، وفي تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام استخدم منها ما يأتي:

---

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٢٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٧- ٩٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٧- ٩٦).

أ- استعمال اسم الجنس المفرد[1]:

استعمل القرآن اسم الجنس في تصوير هلاك قوم نوحعليه السلام، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٣]، وبيان ذلك أن النظم القرآني اختار اسم الجنس (موج) دون (أمواج) أو (موجات) للدلالة علي عدد غير متناهٍ من الأمواج، فاسم الجنس لا تكاد تحصر أفراده، ثم إن اسم الجنس (موج) فيه حدة وضغط يتناسبان مع جو الموقف الرهيب، وروعة الحدث الجلل، وهو ما لا يحققه أي من جمعي القلة والكثرة (أمواج، وموجات)[2].

ولو استعمل القرآن أيًّا من طرق الجمع الأخرى؛ لأفادت القلة والكثرة دون الإشارة إلى الغرض البلاغي الرفيع المستعمل في تصوير سفينة نوح عليه السلام في مشهد الطوفان.

ب- صيغة التعريف والتنكير[3]:

أفاد تنكير الأسماء في تصوير هلاك قوم نوحعليه السلام عددًا من الأغراض البلاغية، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

التنكير في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]: والمعنى على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء، وفي هذا الاستعمال إشارة إلى عظمة أمر الطوفان، فإن

---

(١) وهو اسم وُضِع للدَّلالةِ على الماهيَّةِ، فلا يَخْتصُّ بالجَمْعِ، إنَّما يَصلُحُ لِلواحِدِ والاثْنينِ والجَمْعِ، وإنْ كان هُناك مِن أسماءِ الأجْناسِ ما اشتَهَرَ في مَعنى الجَمْعِ فلا يُطلَقُ على الواحِدِ والاثْنينِ، مِثْلُ: الكَلِم. يُنظر: (المساعد) لابن عقيل (٣/ ٤٧٨).

(٢) جواهر البلاغة في إطار التصوير القرآني للشخصيات القصصية، د/علي يحيى نصر عبدالرحيم، (ص٢١).

(٣) الاسم النكرة هو كلُّ اسمٍ يدُلُّ على العموم، كقولنا: اجلِبْ لي كتابًا، فقد طُلِبَ منك أن إحضارُ أيِّ كتابٍ تلقاهُ مُناسبًا دون شروطٍ وقيودٍ .

تنكير الأمر يفيد ذلك، يقول القائل: جرى على فلان شيء لا يمكن أن يقال، إشارة إلى عظمته(١).

ومن ذلك تنكير النار في قوله تعالى: ﴿ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾ [نوح: ٢٥]، وهذا يفيد إما تعظيمها، أو لأن المراد نوع من النيران(٢)

ت- صيغ المشتقات(٣):

قد نوع القرآن الكريم في استخدامه للمشتقات في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، ومن صور ذلك ما يأتي:

في قوله تعالى كما جاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ ﴾ [نوح: ٢٧]، فقد ظهر هذا الاستحقاق للعذاب في مجيء لفظ الفجور على زنة (فَاعِل)، ولفظ الكفر على زنة (فَعَّال) في التصوير، والفرق بينهما فرق بين اسم الفاعل(٤) وصيغة المبالغة(٥).

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٢٩٦- ٢٩٨).

(٢) البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥٠).

(٣) المشتقات: هي مجموعة من الكلمات التي تشترك في المادة اللغوية أو الجذر اللغوي، وأصل معناه مع وجود فوارق، ويشترط وجود التناسب بين اللفظ المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية والترتيب، ينظر: دلالة أبنية المصادر والمشتقات في شرح السيرافي لكتاب سيبويه، عبد الرزاق فياض علي الجبوري (ص٤).

(٤) اسم الفاعل اسم مشتق يدل على من قام بالفعل، وهو صفة دالة على فاعل جارية في التأنيث والتذكير على المضارع، ينظر: اسم الفاعل: صوغه وعمله، محمد عبدالله سعادة، (ص ٢).

(٥) صيغة المبالغة هي مجموعة من الأوزان التي تفيد بصياغتها الدّلالة على نفس معنى اسم الفاعل بزيادة، وذلك على نحو: (علَّامة)، والمراد منه عالمٌ كثير العلم، وكذلك أيضًا إذا ما قيل: (فَهَّامَة)، أي فاهم كثير الفهم، ينظر: الكناش في فني النحو والصرف، إسماعيل بن الأفضل، (ص٣٣٠).

فالفجور هو الانبعاث في المعاصي والمحارم[١]، وأما الكفر فهو في الاعتقاد، وليس من الحتم أن يكون الفاجر كافرًا، فقد يفجر المؤمن أي يعصي ويفسق[٢].

إذن سبب هلاكهم أنهم جمعوا بين الانبعاث على المعاصي والمحارم، والكفر في الاعتقاد، وأفاد التنوع بين الصيغ أنهم جمعوا بين الانبعاث في المعاصي والمحارم والاعتقاد، فهم جمعوا بين الشبهات والشهوات، وهذا أقبح في الوصف من إفراد كل صفة؛ لذا استحقوا الهلاك.

ث- صيغة المبني للمجهول[٣]:

واستعمال القرآن لهذا النوع من الصيغ ملاحظ في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ [هود: ٤٤]:

وأفاد بِناءُ فِعْلِ (قِيلَ) لِلْمَفْعُولِ الاخْتِصار؛ لِظُهُورِ فاعِلِ القَوْلِ، وفائدة هذا الاستعمال بيان أن الهلاك وتوابعه من الله تعالى؛ لِأَنَّ مِثْلَهُ لا يَصْدُرُ إلّا مِنَ اللَّهِ[٤].

تعقيب:

بناء الفعل للمجهول يفسح المجال لخيال المتلقي ليخرجه حسب اجتهاده.

---

(١) لسان العرب، مادة: (فجر).

(٢) أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، (ص ٣٢).

(٣) هذه الفصيلة يراد بها فكرة التعبير عن الفاعل من حيث وجوده أو عدم وجوده، أي من حيث كونه معلومًا أو مجهولًا، وقد جعلت اللغة العربية لهذه الفصيلة وحدتين هما: وحدة المبني للمعلوم، ووحدة المبني للمجهول. دلالة السِّياق،/ البركاوي، (ص ١٦١)، يعرف الفعل المبني للمجهول بأنه: "ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولًا عن صيغة (فَعَلَ) إلى (فُعِلَ)". المفصل، للزمخشري، (ص ٢٥٨).

(٤) التحرير والتنوير، (٧٨/١٢).

ج- استعمال صيغة الاسم:

ومن أمثلة ذلك: قَوْلُه تعالى: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤٣] أفادَ استعمال الاسم (المغرقين) دون استعمال الفعل، بيان وُقُوع الغَرَقِ المَوْعُودِ بِهِ عَلى وجْهِ الإيجازِ[١].

المسألة الرابعة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الألفاظ[٢].

وأقصد بالألفاظ الكلمات سواء كانت اسمًا أو فعلًا فقط، أما الحروف فقد عقدت لها نقطة خاصة بها مع الأدوات، ومن الأمثلة على ذلك:

- **استعمال الفعل (جاء):**

الذي يعهد استعماله لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو صعب وأشق مما تستعمل له (أتى)، ومن ذلك استعماله في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وذلك لأن المجيء فيه مشقة وشدة[٣].

التعبير عن نجاة نوح عليه السلام بالنَّجاة دون الإنقاذ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾[الأعراف: ٦٤].

والإنقاذ هو: التَّخْلِيصُ من ورّطَة، واستخلاص الشَّيء في قوَّة من بين ما لا يُرضَى حوزه إيّاه، وأنقذته منه خلصته وفرسٌ نقيذ: أُخذ من قوم آخرين[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٧٧/١٢).

(٢) "اللفظ: ما يتلفظ به الإنسان -أو مَن في حكمه- مهملًا كان أو مستعملًا". ينظر: كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط١/ ١٩٨٣، (ص ١٩٢).

(٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، (ص٩٢).

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، المفردات، للراغب الأصفهاني، المعجم الاشتقاقي، د/ جبل: مادة: (نقذ).

أمّا النَّجاةُ فأصلها: الانفصال من الشَّيء، وخُلوص الجرم، أو نفاذه مرتفعًا من بين ما يحيط به أو يجاوره، والنَّجاةُ مِنَ الأرض هي المكانُ المُرتفع المنفصل بارتفاعه عمّا حوله، ولا يَعْلوها سَيْلٌ.(١)

وأفاد هذا الاستعمال دلالة النَّجاة على الخلوص والانفصال ممّا حوله.

ومن ذلك أن القرآن الكريم قد يستعمل في القصة الواحدة مرة (أَنْجَى) ومرة (نَجَّى): كما في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ [يونس: ٧٣]، وقوله مرة أخرى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٩]، و ذلك بحسب ما يقتضيه السياقُ والمقام، فقد يتطلَّب المقامُ ذكرَ الإسراع في النَّجاة فيستعمل (أَنْجى)، وقد لا يتطلب ذلك فيستعمل (نَجَّى)، وكلُّ ذلك صحيح، فقد نستطيلُ أمرًا وقد نستقصره بحسب المقام، والظاهر من السياق أن القصة ذكرت في سورة الشعراء بصورة أكثر تفصيلًا، وأن الموقف أشدُّ، والمحاجة أطول، والتهديدات أشدُّ(٢).

المسألة الخامسة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى التراكيب(٣).

ومن أمثلة ذلك استعمال الإضافة:

ومن صور ذلك الإضافة في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]، فالأمْرُ هُنا يَحْتَمِلُ أمْرَ التَّكْوِينِ بِالطُّوفانِ، ويَحْتَمِلُ الشَّأْنَ وهو حادِثُ الغَرَقِ،

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، المفردات، للراغب الأصفهاني، المعجم الاشتقاقي، د/ جبل: مادة: (نحو).

(٢) بلاغة الكلمة، فاضل السامرائي، (ص٧٨- ٧٩).

(٣) وأقصد بالتراكيب، اجتماع كلمتين مثلا؛ لتأدية تركيب ما، مثل الإضافة.

وأفادت هذه الإضافة إلى اسْمِ الجَلالَةِ تَهْوِيلَهِ بِأَنَّهُ فَوْقَ ما يَعْرِفُونَ، فمَجِيءُ الأمْرِ: حُصُولُهُ(١).

المسألة السادسة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الجمل.

وأقصد بهذه النقطة كيف استعمل النظم الجمل في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، ويظهر ذلك في ما يأتي:

أ- استعمال الجمل الاعتراضية(٢)

استعمل القرآن الجمل الاعتراضية في أغراض بلاغية تخدم المعنى في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ ﴾ [هود: ٤٢]، هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ دَعا إلى اعْتِراضِها هُنا ذِكْرُ (مُجْراها) إتْمامًا لِلْفائِدَةِ، وأفاد هذا الاستعمال وصْفًا لِعِظَمِ اليَوْمِ وعَجِيبِ صُنْعِ اللَّهِ - تَعالى - في تَيْسِيرِ نَجاتِهِمْ، وقُدِّمَ المُسْنَدُ إلَيْهِ (وهي) عَلى المسند الفِعْلِيِّ (تجري بهم)؛ لغرض تقويه الحُكْمِ وتَحْقِيقِهِ(٣).

ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢٥]، فهذه الجملة معترضة بين مقالات نوح عليه السلام وليست من حكاية قول نوح عليه السلام فهي إخبار من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأنه قدر النصر لنوح عليه السلام والعقاب لمن عصوه، والغرض من الاعتراض التعجيل بتسلية رسول الله ﷺ على ما يلاقيه من قومه، ويجوز أن تكون متصلة بجملة ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

(١) التحرير والتنوير (٦٥/١٢).

(٢) وهي الجملة التي تأتي بين شيئين متلازمين، وذلك لإفادة الكلام تقويةً وتسديدًا وتحسينًا، فقد تأتي بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل والفاعل، أو بين الفعل والمفعول به، وغير ذلك من المتلازمات. ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، (ص ٢٨٧- ٢٨٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٢ /٧٤).

ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [نوح: ٢٤] على الوجه الثاني المتقدم فيها من أن تكون من كلام الله تعالى الموجه إلى نوحعليه السلام بتقدير: وقلنا لا تزد الظالمين إلا ضلالًا، وتكون صيغة المضي في قوله: أغرقوا مستعملة في تحقق الوعد لنوحعليه السلام بإغراقهم، وكذلك قوله: فأدخلوا نارًا[1].

ب- المفاضلة بين الاسم والفعل:

نوّع القرآن بين الأسماء والأفعال في تصوير هلاك قوم نوحعليه السلام، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧]، وبيان ذلك أنه: لم يقل سبحانه وتعالى: سأغرقهم أو إنهم سيغرقون، ولكنه أخرجه مخرج الأمر الثابت، أي: كأن الأمر استقر وانتهى[2]؛ لأن الأمر لم يحدث بعد، ومع ذلك يؤتى بالصيغة الاسمية للدلالة على أن الأمر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت.

تعقيب:

يتغير اتجاه الجملة من الاسمية إلى الفعلية، أو العكس تبعًا لتغير الاتجاه النفسي[3].

وبيان ذلك أن سبب هذا التنويع الجمع بين دلالة الفعل على الحدوث والتجدد، ودلالة الاسم على الثبوت، فتخيل الدقة والجمال في تعبير يستعمل التجدد مع الثبوت في صيغة واحدة، ومن البديهي أن هذا في أمر ينتظر حدوثه في المستقبل.

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٢).

(٢) التعبير القرآني، فاضل السامرائي، (ص٢٢).

(٣) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٢٧٠).

المسألة السابعة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الأساليب.

أسلوب الالتفات[1]:

ومن صوره استعمال أحد الفعلين: (الماضي والمضارع) مكان الآخر، فقد يستعمل المضارع مكان الماضي والعكس، ويكون وراء هذا الاستعمال ملاحظ نفسية[2].

ونلاحظ دقة القرآن في التعامل مع أزمنة الأفعال في تصوير قصة هلاك قوم نوح عليه السلام، فمن الطبيعي التعبير عنها بصيغة الماضي، لكن هذا غير مطرد لأغراض بلاغية تخدم هذا التصوير:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ [هود: ٣٨]، فقد عبر عن صنعه بصيغة المضارع؛ وأفاد هذا الاستعمال استحضار الحالة؛ لتخييل السامع أن نوحًا عليه السلام بصدد العمل، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ ﴾ [فاطر:٩] وقوله تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ ﴾ [هود: ٧٤] [3].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [هود: ٣٩]، نلحظ أن الفعل الذي يعلمه نوح عليه السلام وهو أمر الإغراق سيحدث مستقبلًا؛ لأن أي حدث له أكثر من صورة، فإن جاء الكلام عن الحدث بعد وقوعه؛ كان الفعل ماضيًا، وإن جاء الكلام وقت الحدث كان الفعل مضارعًا، وإن جاء الكلام عن حدث لم يأتِ زمنه فالأمر يقتضي أن نسبق الكلام

---

(١) الالتفات: أحد الأساليب العربية المشهورة في الكلام، ويؤدي دورًا كبيرًا في الكلام، والالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: (التكلم، الخطاب، والغيبة)، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، ويقصد به تحول الخطاب من الغيبة إلى الحضور، أو العكس، ويسمى أيضًا شجاعة العربية؛ وإنما سمي بذلك؛ لأن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتوارد عليه ما لا يتوارده سواه. ينظر: دلالة التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، (ص ٢٤٦).

(٢) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٢٧٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٧- ٩٦).

عن الحدث بحرف (السين) كأن نقول: (سيعلمون) وهذا عن الاستقبال القريب، أما عن الاستقبال البعيد فتأتي كلمة (سوف)[١].

وأفاد هذا الاستعمال أن نوحًا عليه السلام قضى العديد من السنين وهو يصنع السفينة؛ ولذلك جاء بـ (سوف) لتدل على أوسع مَدًى زمنيٍّ[٢].

ومن أمثلة ذلك قوله: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [هود: ٤٢]، فقد عَدَلَ عَنِ الفِعْلِ الماضِي إلى المُضارِعِ في قوله ﴿تَجرِي﴾، وأفاد هذا الاستعمال اسْتِحْضارِ الحالَةِ[٣]، فمشهد الطوفان حدث قديم، لكن القرآن قصه علينا وكأنه يقع الآن، فجاء التعبير بصيغة المضارع لتصوير الحدث واستحضار الحالة، ونقل المشهد، وإشعار المخاطب بتفاصيل الحدث، فوصف جريانها بالحال لا بالماضي، لتكون حاضرةً في مرأى السامعين، وفي ذهن المخاطبين، وفي مشاعر المستجيبين؛ إحياء للقلوب، وإنعاشًا للصدور وتحريكًا للعقول[٤].

تعقيب:

يحدث الالتفات في النفس حركة الانتباه قصدًا؛ ليتقرر فيها ما تلتفت إليه، وهو في الكلام كما هو في الأجسام من تحويل الوجه من جهة إلى أخرى غير ما ينتظر المخاطب[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي (١١/ ٦٤٦٨).
(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٩).
(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٩).
(٤) موسوعة التفسير البلاغي (٢٢/٢٧).
(٥) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية (ص ٢٧٢).

ت- أسلوب التقديم والتأخير[١]:

وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب، ففي قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأعراف: ٦٤] وكان المتبادر أن يذكر العقاب أولًا؛ ليتبيَّنَ من أيّ شيءٍ أنجاهم؛ لكنَّ النَّظمَ قدَّمَ ذِكْرَ الإنجاءِ، وسبب ذلك: المسارعة بالإخبار بهِ والإيذان بسبق الرَّحمة [٢]، و"للاهتمام بإنجاء المؤمنينَ وتعجيلًا لمسرَّة السامعين من المؤمنينَ بأنَّ عادةَ الله – إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين؛ فلذلك التقديم يفيد التعريض بالنذارة،وإلا فإن الإغراق وقع قبل الإنجاء؛ إذ لا يظهر تحقق إنجاء نوحعليه السلام ومن معه إلا بعد حصول العذاب "[٣].

تعقيب:

التقديم والتأخير في الجملة العربية يكون تابعًا لترتيب معانيها في النفوس، إذ الترتيب هو الذي يدلنا على ما في النفوس، وعليه فقد نجد عبارات متشابهة في حروفها وكلماتها، إلا أن بينها اختلافًا في الترتيب، وهذا الاختلاف يظهر من متكلم لآخر، فعلى حين نجد بعض الكلام يتقدم في إحدى الجمل نجده يتأخر في كلام آخر... ويبقى الضابط في هذا كله هو اختلاف المعنى في نفس المتكلم، وقد يشير إلى ملحظ نفسي متعلق بالمتلقي[٤].

---

(١) التَّقديم والتَّأخير هو أحد أساليب البلاغة؛ ودليل على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقعٍ، وأعذب مذاقٍ.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٣/ ٢٣٧)، روح المعاني، للألوسي: (٣٩٢/٤).

(٣) التحرير والتنوير: (٨ /١٧٩-١٩٨).

(٤) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٣٠٣).

والخطاب القرآني حينما يستخدم هذا الأسلوب في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، **فيقدم لفظًا** في موقع، ثم يؤخره في موقع آخر، فهو في هذا يرشدنا إلى معانٍ نفسية متعلقة بالمتكلم والسامع(١).

ث- أسلوب التضمين(٢):

ومن صور استعمال القرآن للتضمين في تصوير نجاة المؤمنين، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ [هود: ٤١]، حيث عُدّي فعل الأمر بالرُّكوب بحرف (في)؛ لاعتبار الصَّيرورة، وإلا فالفعل يتعدى بنفسه؛ لأنَّه ضُمِّنَ معنى صيروا، وأفاد هذا الاستعمال أنهم أمروا أن يكونوا في جوفها لا على ظهرها(٣)؛ لرعاية جانب المحلّيَّة والمكانيَّة في الفُلْكِ، ولما كانت الظرفية أغلب على السفينة؛ قال: (فِيهَا)(٤).

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٣٠٣).

(٢) التضمين: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين"، مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري (٢ /٧٩١).

(٣) روح المعاني، الألوسي (٦/٢٥٤).

(٤) نظم الدرر، البقاعي (٢٨٧/٩).

المطلب الثاني: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى المعاني والصور.

عرضت في المطلب السابق تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى اللغة والتراكيب، ولما كان ذروة سنام اللغة وغايتها المعاني والصور فقد عرضت لهذا النوع من هذه الجزئية، ومن صور ذلك ما يأتي:

المسألة الأولى: بلاغة التصوير بالتشبيه(١):

ويظهر التشبيه بوضوح في قصة هلاك قوم نوح عليه السلام، ومن أمثلة ذلك:

تشبيه الموج بالجبال، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود: ٤٢]، وأفاد هذا الاستعمال أن تشبيه الموج بالجبال في هذا السياق يضفي على التصوير مزيدًا من الروعة والرهبة معًا، فهذه الجبال تصورها للعين هذه الأمواج الضخمة، كما تصور لنا ما يحس به ركاب السفينة من فزع، فالتشبيه وسيلة بيانية قوية يستعان بها في تجلية المعاني وتصوير أرجائها، وهو وإن كان أداة جيدة للتصوير فإنه في القرآن الكريم يجاوز كونه صورة راقية في نسق ونظم معجز، إلى كونه أداة من أدوات توصيل الغايات الدينية(٢).

---

(١) التشبيه: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قُصِد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصده المتكلم، ينظر: جواهر البلاغة، (ص ٢١٩)، والأصل في التشبيه إدراك الصلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي، فهو دلالة فنية. ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٣٧٨)، فالقرآن حين يشبه محسوسًا بمحسوس يحرص أحيانًا علي رسم الصورة كما تحس بها النفس.

(٢) أساليب البيان والصورة البيانية، د/محمد إبراهيم شادي، (ص٤٦٤)، جواهر البلاغة (ص٧٩)، التعبير الفني، بكري شيخ أمين (ص ١٩٨).

ووجه الشبه بين الموج والجبال أن المَوْجُ: "ما يرتفع من الماء على سطحه عند اضطرابه، وتشبيهه بالجبال في ضخامته. وذلك إما لكثرة الرياح التي تعلو الماء، وإما لدفع دفقات الماء الواردة من السيول، والتقاء الأودية الماء السابق لها، فإن حادث الطوفان ما كان إلا عن مثل زلازل تفجرت بها مياه الأرض، وأمطار جمة تلتقي سيولها مع مياه العيون، فتختلط وتجتمع وتصب في الماء الذي كان قبلها حتى عم الماء جميع الأرض التي أراد الله إغراق أهلها"(١).

ونَبَّهَ عَلى عُلُوِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ أيْ: في عِظَمِهِ وتَراكُمِهِ وارْتِفاعِهِ(٢)، وعليه فإن هذا التشبيه يقصد إلى تصوير الموج عاليًا ضخمًا.

تعقيب:

يحمل هذا التصوير الحركة الموجية(٣)، وفي هذه الصورة تكون الحركة معقدة، حيث تتداخل مسارات الموج العاتي من جهة، وحركة سير السفينة من جهة أخرى، وإذا كانت الجبال تشكلّ الطرف الثاني من الصورة التشبيهية، فإنّ وجه الشبه يتمثل في ضخامة كلٌّ من الموجة والجبل.

وهنا نجد أنّ روعة التصوير تنسينا رسو الجبل ورسوخه، فلا نتصوّر غير عنف حركة الموج وضخامة حجمه(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٧٥/١٢).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (٢٨٧/٩).

(٣) الموجة: عبارة عن حركة اهتزازية وأطوار الموجات البحرية مختلفة، وتتفاوت أطوال الموجات وسعتها وأطوارها... ويحدث التراكب والتداخل في الأمواج على المستوى الواحد من الماء، وتتجلّى الحركة في مشاهد البحر– بشكل متميّز وعنيف في صور «الموج».. وكذلك في سير السفن، سواء في حالة هدوء البحر وسكونه، أم في حالة صخبه وهيجانه. ينظر: جمالية تصوير الحركة في القرآن الكريم، حكمت صالح، (ص٩٩).

(٤) جمالية تصوير الحركة في القرآن الكريم، حكمت صالح، (ص٩٩).

وجملة: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١] مركب تمثيلي، وأفاد هذا الاستعمال بيان هيئة اندفاق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار على طريقة: وسالت بأعناق المطي الأباطح(١).

المسألة الثانية: بلاغة التصوير بالاستعارة(٢):

من صور الاستعارة قوله تعالى: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]، وبيان ذلك أن كلمة: (فارَ) أصله (فور) (الفاء والواو والراء) تدل على غليان، ثم يقاس عليها، فالفور: الغليان(٣)، "مَعْناهُ: انْبَعَثَ بِقُوَّةٍ"(٤)، "وفارَ التَّنُّورُ أيْ نَبَعَ مِنهُ الماءُ وارْتَفَعَ بِشِدَّةٍ كَما تَفُورُ القِدْرُ بِغَلَيانِها، وفِيهِ مِن الِاسْتِعارَةِ ما لا يخفى"(٥).

(١) التحرير والتنوير (٢٧ / ١٨٢– ١٨٥).

(٢) الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلا (تشبيهًا) مختصرًا، لكنها أبلغ منه، ينظر: جواهر البلاغة، (ص ٢٥٦)، وهي إحدى صور المجاز، وهي من أحفل صور المجاز بالصور المتداعية والمعاني الثانوية المتولدة، وأكثرها زخمًا وتخييلًا وأداء نفسيًّا، فهي تفترق عن التشبيه في أنها خيالية، يتوحد منها طرفا التشبيه، فهي تصور الشيئين وكأنها شيء واحد، كأن المشبه قد حل في المشبه به، ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص٣٩٠)، قال الجرجاني في تعريفها: "فالاستعارة: أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبة وتجريه عليه. تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء"، فتدع ذلك وتقول: "رأيت أسدا". دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (٦٧/١).

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٤٥٨).

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ١٧٠)، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (٦/ ١٥١).

(٥) روح المعاني، للألوسي (٦/ ٢٥١).

وأفاد هذا الاستعمال بيان معنى فار، أي: نبع على قوة وشدة، تشبيهًا بغليان القدر عند قوة النار، ولا شبهة في أن نفس التنور لا يفور، فالمراد فار الماء من التنور.

ويظهر جمال هذه الاستعارة إذا حملنا معنى (وفار التنور) على أنه "مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمل مثله، كما يقال: بلغ السيل الزبى، وامتلأ الصاع، وفاضت الكأس وتفاقم"(١).

وفي قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ [هود: ٤٤] تظهر بلاغة الاستعارة، وبيان ذلك أن البَلْع: حَقِيقَتُهُ اجْتِيازُ الطَّعامِ والشَّرابِ إلى الحَلْقِ بِدُونِ اسْتِقْرارٍ في الفَمِ، وهو هُنا اسْتِعارَةٌ لِإدْخالِ الشَّيْءِ في باطِنِ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ، ومَعْنى بَلْعِ الأرْضِ ماءَها دُخُولُهُ في باطِنِها بِسُرْعَةٍ كَسُرْعَةِ ازْدِرادِ البالِعِ، بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ جَفافُ الأرْضِ بِحَرارَةِ شَمْسٍ أوْ رِياحٍ، بَلْ كانَ بِعَمَلٍ أرْضِيٍّ عاجِلٍ، وقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِإحْداثِ اللَّهِ زَلازِلَ وخَسْفًا انْشَقَّتْ بِهِ طَبَقَةُ الأرْضِ في مَواضِعَ كَثِيرَةٍ حَتّى غارَتِ المِياهُ الَّتِي كانَتْ عَلى سَطْحِ الأرْضِ(٢)، دلالة على أنه ليس كالنشف المعتاد التدريجي(٣).

والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة؛ لأن النشف دال على الوضع المعتاد، فهو نشف غير معتاد، ولذلك نجد أن هذه الاستعارة تلامس الحقيقة.

وعيَّن المبلوع في قوله: (ماءك) لئلا يعم فتبتلع كل شيء على ظهرها(٤)، من جبال وتلال وبحار وساكنات الماء بأسرهن، نظرًا لمقام ورود الأمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء(٥).

---

(١) التحرير والتنوير (٧١/١٢).
(٢) التحرير والتنوير (٧٨/١٢).
(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم (٤/ ٢١١).
(٤) نظم الدرر، البقاعي (٩/ ٢٩١).
(٥) مفتاح العلوم للسكاكي، (١/ ٤١٩).

ومن صور ذلك، قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ ﴾ [القمر: ١٢]، وبيان ذلك أن معنى التقاء الماء: تجمع ماء الأمطار مع ماء عيون الأرض، فالالتقاء مستعار للاجتماع، شبه الماء النازل من السماء والماء الخارج من الأرض بطائفتين جاءت كل واحدة من مكان فالتقتا في مكان واحد كما يلتقي الجيشان(١).

ومن ذلك الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ [هود:٤١]، الرُّكوبُ في الأصل العُلو على الشَّيء وغلبته فيه، فيتعدَّى بنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا ﴾ [النَّحل: ١٨]، وقد يُطلق على الصَّيرورة والدخول، وأفاد هذا الاستعمال أن معنى ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ صيروا فيها، وجعل ذلك ركوبًا؛ لأنّها في الماء كالمركوب في الأرض، ففيه استعارة تصريحيَّة تبعيَّة(٢) من حيث تشبيه الصَّيرورة فيها بالركوب(٣).

وكذلك الاستعارة التصريحية في قوله تعالى:﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ [هود: ٤٤]، فقد استعملت مادة الإقلاع للتعبير عن احتباس المطر؛ لأن الإقلاع لغة هو الإمساك والكف والإزالة، فهو ترك الفاعل الفعل، وذلك للشبه بين الاحتباس والإقلاع في عدم ما كان(٤)، وأفاد هذا الاستعمال تشبيه الاحتباس وكف السماء عن إنزال المطر بالإقلاع، على سبيل الاستعارة(٥).

(١) التحرير والتنوير (٢٧ / ١٨٢– ١٨٥).
(٢) يقصد بالاستعارة التبعية ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسمًا مشتقًا أو فعلًا.
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي، (٥/ ٩٧).
(٤) مفتاح العلوم، السكاكي (١/ ٤١٨).
(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٩٩).

تعقيب:

لا يتصور ما يحمله تصوير هلاك الأمم دون استعمال الاستعارة التي تجسم المعاني المحسوسة وتضفي عليها المعاني البلاغية المتنوعة.

ويكمن البعد النفسي لهذا النمط من الأسلوب في أن هذا اللون من التعبير مما ترتاح إليه النفس، إذ يتدرج بالنفس من إحساسها بالفكرة صورة مبهمة، إلى أن تصبح صورة لغوية تفيض بكل المثاليات المختزنة في النفس عن المشبه، كما أنها تدل على ذات صاحبها موضحة نزوعه النفسي والذهني(١).

والاستعارة تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة، وإنما يعتبر ذلك بما تقبله النفس أو ترده، وتعلق به أو تنبو عنه(٢).

وبفضل الصور الاستعارية ترى الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية(٣)

وهذا التفاعل بين الصور الاستعارية والمعاني النفسية هو الذي يبرز ما في مشاعرنا الداخلية بصورة فنية بديعة(٤).

---

(١) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٣٩١).

(٢) ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري، (ص ٤١).

(٣) أسرار البلاغة، الجرجاني، (ص ١٣٧).

(٤) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص ٣٩١).

المسألة الثالثة: بلاغة التصوير بالمجاز(١):

استعمل القرآن المجاز في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام، وهو أكثر الظواهر البلاغية استعمالًا في تصوير مشهد هلاك قوم نوح عليه السلام.

ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾ [القمر:١٢]، وبيان ذلك في تعدية فجرنا إلى اسم الأرض تعدية مجازية، وأفاد هذا الاستعمال أن الأرض من كثرة عيونها كأنها عين تتفجر، ولم يقل: ففتحنا السماء أبوابًا؛ لأن السماء أعظم من الأرض وهي للمبالغة، ولهذا قال: أبواب السماء ولم يقل: أنابيب ولا منافذ ولا مجاري أو غيرها(٢).

لذا قال في السماء: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ لأن السماء ذات الرجع وما لها فطور، ولم يقل: وشققنا السماء، وقال في الأرض: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [القمر: ١٢]؛ لأنها ذات الصدع(٣).

ومن صور ذلك استعمال (على) بمعنى الظرفية أو الاستعلاء المجازي: وبيان ذلك أن (على) في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢] يجوز أن تكون بمعنى (في) كقوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا ﴾ [القصص: ١٥]، والظرفية مجازية، ويجوز أن تكون (على) للاستعلاء المجازي، أي ملابسًا لأمر قد قدر ومتمكنًا منه(٤).

---

(١) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ: مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة: هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها، ينظر: جواهر البلاغة، (ص ٢٥١).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٢٩٦- ٢٩٨).

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٢٩٦- ٢٩٨).

(٤) التحرير والتنوير (٢٧ / ١٨٢- ١٨٥).

ومن صور ذلك قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ ﴾ [القمر: ١٤]، أي تسير بمنظر ومرأى منا وحفظ وحراسة لها، جزاء لهم على كفرهم بالله، وانتصارًا لنوح عليه السلام، لأنه نعمة من الله، وتكذيبه كفران أو جحود لتلك النعمة(١).

وهذا أبلغ من قوله: (حفظنا)، يقول القائل: اجعل هذا نصب عينك، ولا يقول احفظه؛ طلبًا للمبالغة(٢).

وقد أفاد هذا الاستعمال أن اتخاذ الأسباب لتحقيق النتائج أمر ضروري، وهو أيضا محتاج إلى رعاية الله وعنايته وحفظه(٣).

ومن صور ذلك إطلاق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز المرسل بعلاقة البعضية، كما في قوله تعالى: ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ [نوح: ٧]، وبيان ذلك أن الذي يجعل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله، فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع، بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها، كما في قوله تعالى: ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [البقرة: ١٩].

واستغشاء الثياب: جعلها غشاء، أي غطاء على أعينهم، تعضيدًا لسد آذانهم بالأصابع؛ لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إشاراته، وأكثر ما يطلق الغشاء على غطاء العينين، قال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾ [البقرة: ٧]، والسين والتاء في استغشوا للمبالغة، فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح عليه السلام إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعيه في أذنيه ويجعل من ثوبه ساترًا لعينيه، ويجوز أن يكون تمثيلًا لحالهم

(١) التفسير المنير، الزحيلي (١٥٥- ١٥٧).
(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٢٩٦- ٢٩٨)،
(٣) التفسير المنير، الزحيلي (١٥٥- ١٥٧)،

في الإعراض عن قبول كلامه ورؤية مقامه بحال من يسك سمعه بأنملتيه ويحجب عينيه بطرف ثوبه(١).

تعقيب:

هنا يصف لنا نوح عليه السلام حال قومه وهو وصف في غاية الدقة والبيان، "وهم يحاولون إغلاق آذانهم حتى لا يسمعوا الحجة والبيّنة، وزيادة على ذلك يضعون ثيابهم على وجوههم مبالغة في الإعراض سماع الحق، ولا يخفى على المتذوق لحلاوة القرآن الكريم سرّ التعبير بالأصابع على التعبير بأطراف الأصابع، ومراد القرآن زيادة على المبالغة في الإعراض"(٢).

وتتكرر الدلالة نفسها في التعبير عن الانفعالات النفسية، حين يراد بها الدلالة على كراهتهم وإعراضهم عن سماع دعوة نوح عليه السلام، فالصورة المرسومة لهم إما أنها على الحقيقة في وصف حالهم، وإما أنها من باب الكناية، وهم يجعلون أناملهم في آذانهم لا أصابعهم كلها، وإنما عبّر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة(٣) في تصوير إعراضهم وسدِّ مسامعهم عن دعوته، على طريقة المجاز المرسل؛ حيث أطلق الكل وأراد الجزء(٤).

كما أن في تغطية رؤوسهم بثيابهم مبالغة في الصدِّ والاستكبار، إذ جمعوا بين جعل أصابعهم في آذانهم، وبين تغطية رؤوسهم بثيابهم، فلا يسمعون دعاء نبي الله عليه السلام(٥).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٥- ١٩٦).

(٢) التحديات المواجهة للدّعوة من خلال سورة نوح عليه السلام، كائنات محمود عدوان (ص ١٠٢٩).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ٣٣).

(٤) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي (١/ ١٠١)، وينظر: المجاز في البلاغة العربية، السامرائي (ص١١٧)،التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى (ص٣٥٥). التعبير القرآني والدلالة النفسية، الجيوسي، (ص٣٩٧).

(٥) منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية من خلال دلالات الجسد،سليمان ناصر الحاتمي، (ص١٣٩).

المسألة الرابعة: التعبير بالإيجاز[1]:

واستعمل القرآن الإيجاز في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام أكثر من الإطناب، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، وبيان ذلك أن لفظ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ يحمل في طياته: إيجازًا بليغًا، وأفاد هذا الاستعمال أنه قد طوى أحداث القصَّة، وانتقل بعد ذكرِ التَّكذيب إلى ذكر النَّجاة، تعجيلًا بذكر مآل التَّكذيب، فإنَّ تكذيبهم كان سببًا في نزول العذاب وتحقق النَّجاة لنوح عليه السلام ومن معه[2].

ومن صور الإيجاز التعبير بلفظ: معه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، وكان أصل الكلام تقييدهم بالإيمان، كما في سورة الشُّعراءِ: ﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٨]، وتقدير الكلام: فأنجيناه والذين استقروا معه في الفلك.

وسبب الإيجاز: أنَّ قوله: ﴿ مَعَهُۥ ﴾ يتعلَّق به قوله ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾، وسبب هذا التعليق، أنه بهذا التعليق عُلم أنَّ الله أمره أن يحمل في الفُلك معشرًا، وأنَّهم كانوا مصدقين له، فكان هذا التَّعليق إيجازًا بديعًا"[3]، فما ركب معه غير مَن اتَّبعه، ولذلك لم يأتِ هذا التَّقييدُ في الآيةِ الثَّانية في سورةِ الشُّعراءِ: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾

(١) الإيجاز مصطلح لغوي، يقصد به وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها، أي: "دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والتطويل ضد ذلك"، وقد عرفه السكاكي بأنه: "أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط". ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، (ص ٢٧٧).

(٢) موسوعة التفسير البلاغي (١٣/٥٧٨- ٥٨١).

(٣) التحرير والتنوير (٨/ ١٩٨)، وينظر: البحر المحيط (٥/٨٥).

[الشعراء: ١١٩]، لهذا السَّبب، واكتفاء بالآية السابقة، وبهذا أغنى ذلك عن التصريح بالإيمان إيجازًا [١].

ومن ذلك الإيجاز في قوله تعالى: ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ [هود: ٤٤]، حيث إن: أصل (غيض) يدلُّ على نُقصان في شَيْءٍ وقِلَّةٍ[٢]، وهذا الإيجاز مُغْنٍ عَنِ التَّعَرُّضِ إلى كَوْنِ السَّماءِ أَقْلَعَتْ والأَرْضِ بَلَعَتْ[٣].

تعقيب:

إذن الغرض من استعمال الإيجاز في تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، فهو وسيلة من الوسائل للبيان وحسن التعبير، الذي يؤدي إلى بلوغ المعاني ما لا يؤديه الإطناب والإطالة، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعنى القول ودلالته وقدرته على التأثير.

والملاحظ اعتماد القرآن على أسلوب الإيجاز أكثر من الإطناب؛ لأنَّ الغرض من سَوق القصص إنَّما هو الاتعاظ بها، فذكرُ ما لاقى القومُ به الدَّعوة من التَّكذيب، والانتقال إلى المصير؛ فيه من التَّخويف لمن يسمعُ القصَّة من المشركين، عسى أن يتَّعظوا، ويحدثُ لهم ذكرًا[٤].

المسألة الخامسة: استعمال الضمير مكان الظاهر:

وهو من صور الإيجاز؛ ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾ [هود: ٣٨]، الضمير في قوله: (منا) يشير إلى أنهم يسخرون

(١) موسوعة التفسير البلاغي (١٣/ ٥٧٨- ٥٨١).
(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص ٢٠٤).
(٣) التحرير والتنوير (٧٩/١٢).
(٤) موسوعة التفسير البلاغي (٥٧٨/١٣- ٥٨١).

منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به، إذ كانوا حوله واثقين بأنه يعمل عملًا عظيمًا، وكذلك جمعه في قوله: ﴿ فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ ﴾ [هود: ٣٨][(١)].

والملحوظ من سياق الآية دلالة نفسية تمثلت في السخرية اللفظية والاستهزاء بنوح عليه السلام فسخريتهم اللفظية هذه، كشفت لنا نفوس القوم من خبايا وخفايا وما تحمله من غل وحسد ولؤم.

وجملة: (إن تسخروا منا) حكاية لما يجيب به سخريتهم، أجريت على طريقة فعل القول إذا وقع في سياق المحاورة، لأن جملة سخروا تتضمّن أقوالًا تنبني عن سخريتهم، أو تنبني عن كلام في نفوسهم، وجمع الضمير في قوله (منا) يشير إلى أنهم يسخرون منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به، إذ كانوا حوله واثقين بأنه بعمل عملًا عظيمًا، وكذلك جمعه في قوله (فإنا نسخر منكم) والسخرية: الاستهزاء، وهو تعجب باحتقار واستحماق"[(٢)].

تعقيب:

يكاد المتلقي للآية أن يتصور ملامح وجهه، وقد فاضت ثقة وطمأنينة وعزّة بأمر الله، من خلال ردّه الواثق القوي، حينما ردّ سخريتهم بقوله: (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) فلقد علمتم ظاهر الأمر واستهزأتم به، ولكن ما خفي عليكم جليل عظيم، وتوضح الآية التي تلي هذا الموقف ما كان يعتلج في نفس نبي الله نوح عليه السلام من انفعال نفسي شديد القوة، يتراوح ما بين الانزعاج من قومه و انتظار الفرج والنصر من الله تعالى، وذلك حينما قال: ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٩ ﴾ [هود: ٣٩][(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٧- ٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٨).

(٣) الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني، آلاء محمود أبو عرب، (ص٧٦).

ومن براعة استعمال الضمائر ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [هود: ٣٨]، حيث أسند (العلم) إلى ضمير المخاطبين دون الضمير المشارك بأن يقال: فسوف نعلم، إيماءً إلى أن المخاطبين هم الأحق بعلم ذلك، وأفاد هذا الاستعمال أدبًا شريفًا بأن الواثق بأنه على الحق لا يزعزع ثقته مقابلةُ السفهاء أعمالهَ النافعةَ بالسخرية، وأن عليه وعلى أتباعه أن يسخروا من الساخرين(١).

المسألة السادسة: استعمال الاسم الموصول دون الصريح:

من صور الإيجاز التَّعْبِيرِ بالاسْمِ الموصولِ دونَ الصَّريح: قوله تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ [الأعراف: ٦٤]، فقد عَبَّرَ بالاسم الموصولِ (الَّذِينَ)، بدل الاسم الصريح: (المكذِّبين)، وأفاد هذا الاستعمال الدَّلالَةِ على معيَّن مع الدَّلالة على أنَّ تكذيبهم كان مستمرًا، والاستمرار يشعرُ بالإصرار، فمعنى: (الَّذِينَ كَذَّبُوا) "أي: استمروا على تكذيبهم، وليس المراد بهم الملأ المتصدّرين للجواب فقط، بل كل من أصرَّ على التَّكذيب منهم ومن أعقابهم "(٢)

إذن المراد من الموصول، وصلته بيانُ أنَّهم اتَّصفوا بالتَّكذيب واستمروا عليه، وليس المراد بيان أنَّهم متّصفون بالتكذيب فحسب (٣).

المسألة السابعة: التعبير بالصفة دون الموصوف:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر:١٣]، وبيان ذلك أن (ذات ألواح ودسر) صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضًا عن أن يقال: وحملناه على الفلك؛ لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها، وأفاد هذا الاستعمال إظهار عناية الله بنجاة نوح عليه السلام ومن معه، فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تعرف سفينة قبلها، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٧- ٩٦).
(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٣٧).
(٣) موسوعة التفسير البلاغي (١٣/٥٧٨- ٥٨١).

أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: ٣٦-٣٧]، وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء وكان ذكرها دالًا على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف إيجازًا، كما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١]، أي دروعًا سابغات(١).

المسألة الثامنة: استعمال الإطناب في موضعه(٢):

وظهر هذا الأسلوب في وضْعِ المُظْهَرِ مَوضِعَ المُضمَرِ: فقد عبَّر عن المكذِّبين بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأعراف: ٦٤] دونَ الضَّميرِ وهو ما يقتضيه الظاهر، فلم يقل: (وأغرقناهم).

وأفاد هذا الاستعمال أنه أظهر الموصول للإعلام بعلة الغرق، وهو التَّكذيب(٣)، فعبَّر بالموصول قصدًا لتضمين الصِّلة علَّةَ الإغراق، والمعنى: "وأغرقنا من كذَّبَ بآياتِنا بالطوفان بسبب تكذيبهم"(٤)، وهذا تكرار في بيان الحجج، وذكر سبب الإغراق، وغرضُه أخذُ العبرة والاعتبار.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧ / ١٨٢- ١٨٥).

(٢) الإطناب هو أن يكون اللفظ زائدًا على أصل المراد لفائدة، فالفائدة شرط للإطناب، وإذا انتفت الفائدة عُدّ ذلك تطويلًا، أو: هو تأدية المراد من الكلام بأبلغ وأقوى عبارة من الكلام المتعارف، والمراد من ذلك أنّ الإطناب هو إيصال المعنى الواحد بألفاظ وعبارات وجمل متعددة؛ ومثال على ذلك: قابلت رجلًا كريمًا، ومعطاءً، وجوادًا، وسخيًّا، أي أنّ معنى الكرم عُبّر عنه بألفاظ متعددة مثل العطاء، والجود، والسخاء ينظر: الإيجاز والإطناب، هند عبد الفتاح، (ص ٨٧).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٨٥).

(٤) تفسير المراغي (٨/ ١٩١).

الخاتمة :

ومن أهم النتائج ما يلي :

- استخدم القرآن الكريم الكلمات القوية في تصوير هلاك الأمم، وهي كلمات استمدت قوتها من قوة صفات حروفها ومخارجها.
- وظف النظم القرآني الحروف والأدوات، وعدد كبير من الصيغ والتراكيب في خدمة مشاهد هلاك الأمم.
- توجد علاقة وثيقة بين الجوانب البيانية والجوانب النفسية، فالبيان هو القالب الذي يرشدنا إلى الدلالات النفسية، والألفاظ خدم للمعاني
- التصوير النفسي من أهم الدلالات التي يمكن استنباطها من الكلام، ولا يمكن تجاوزها عند البحث عن دلالة الألفاظ؛ حيث تنعكس المعاني النفسية بصورة واضحة تجاه الألفاظ، فالأجواء النفسية تكشف عن جانب من المعنى يختبئ خلف الألفاظ.

المراجع :

- القرآن الكريم
- الإعجار البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، (القاهرة :دار المعارف).
- الإعجاز التصويري في القرآن الكريم، ضو خالد، فقير خدة، مجلة الدراسات الإسلامية.
- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبدالفتاح الخالدي، (عمان:دار عمار،٢٠٠٠م)
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط٨، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)
- ألفاظ القوة والتمكين في سورة (القمر) "دراسة صوتية دلالية". د. منصور علي سالم ناصر العمراني، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج ٤، ع ١، ٢٠٢٠م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،، تحقيق : محمد علي النجار : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنَّة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عام النشر: ١٩٩٦-١٩٧٣ م .
- بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني (مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء)، نور الدين دحماني، (الجزائر: جامعة وهران، ٢٠١١-٢٠١٢م) .
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق)، كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ).
- التعبير القرآني والدلالة النفسية، د.عبد الله محمد الجيوسي، (دمشق : دار الغوثاني،

٢٠٠٦م) .
- التعبير القرآني، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل السامرائي، ط٤، (عمان: دار عمار، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ) .
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج المناوي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري،تحقيق: د. عبد الله التركي، (دار هجر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- جمالية تصوير الحركة في القرآن الكريم، حكمت صالح، (الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٠م) .
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ، ط٢، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ) .
- دلالة التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٦ م
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، (الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٩٩٢م).
- سورة القمر مقاربة أسلوبية صوتية، مجلة فصل الخطاب، محمد حسن خلف بن

عيسى بطاهر، مج١٠، ع٣، سبتمبر ٢٠٢١م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق : علي البجاوي- محمد أبو الفضل، (بيروت: المكتبة العنصرية،١٤١٩ هـ)
- الصورة الفنية، جابر عصفور، ط٣، (المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م).
- الصورة الفنية في المثل القرآني – محمد حسين علي الصغير – دار الرشيد للنشر: العراق – ١٩٨١ م
- الصورة بين القدماء والمعاصرين : دراسة بلاغية نقدية، محمد ابراهيم عبدالعزيز شادي، (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٩٩١م) .
- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
- في النقد الأدبي، علي عليّ مصطفى صبح، الناشر: – الطبعة: -.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري،دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧ هـ، ط٣
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على الدين ابن منظور الأنصاري ، ط٣، (بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ) .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل السامرائي، ط٣، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير الكاتب، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ)
- معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م،
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة
- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧– ١٣٨٠هـ،
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق : عبد السَّلام محمد هارون، (دار الفكر : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .
- النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، (مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).
- وظيفة الصورة الفنية، د. عبدالسلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر: حلب، ٢٠٠١م .

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص: ١٩٢٧

مقدمة ١٩٣١

- مشكلة البحث: ١٩٣٢
- أهداف البحث: ١٩٣٢
- أهمية البحث: ١٩٣٢
- منهج البحث:..... ١٩٣٣
- هيكل البحث: ١٩٣٣

المبحث الأول: التعريف بلفظة (التصوير)، وورودها في القرآن الكريم، ودلالاتها في السياق القرآني ١٩٣٤

المطلب الأول: تعريف التصوير لغة واصطلاحًا، والألفاظ ذات الصلة به.... ١٩٣٤
المطلب الثاني: دلالة التصوير القرآني عند القدماء والمحدثين ١٩٣٨
أولًا: دلالة التصوير القرآني عند القدماء: ١٩٣٨
ثانيًا: دلالة التصوير القرآني عند المحدثين:..... ١٩٤٢

المبحث الثاني: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام. ١٩٤٤

المطلب الأول: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى اللغة **والتراكيب.**..... ١٩٤٤
المسألة الأولى: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على المستوى الصوتيّ. ١٩٤٤
المسألة الثانية: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الأدوات..... ١٩٤٨
المسألة الثالثة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الصيغ..... ١٩٥٣

المسألة الرابعة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الألفاظ. ١٩٥٧
المسألة الخامسة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى التراكيب. ١٩٥٨
المسألة السادسة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الجمل. ١٩٥٩
المسألة السابعة: تصوير هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى الأساليب. ١٩٦١
المطلب الثاني: تصوير القرآن الكريم هلاك قوم نوح عليه السلام على مستوى المعاني والصور..... ١٩٦٥
المسألة الأولى: بلاغة التصوير بالتشبيه:..... ١٩٦٥
المسألة الثانية: بلاغة التصوير بالاستعارة:..... ١٩٦٧
المسألة الثالثة: بلاغة التصوير بالمجاز:..... ١٩٧١
المسألة الرابعة: التعبير بالإيجاز:..... ١٩٧٤
المسألة الخامسة: استعمال الضمير مكان الظاهر:..... ١٩٧٥
المسألة السادسة: استعمال الاسم الموصول دون الصريح:..... ١٩٧٧
المسألة السابعة: التعبير بالصفة دون الموصوف:..... ١٩٧٧
المسألة الثامنة: استعمال الإطناب في موضعه:..... ١٩٧٨
الخاتمة : ١٩٧٩
المراجع : ١٩٨٠
فهرس الموضوعات ١٩٨٤